الأحد: 2024/09/06
الفوج 1 التوقيت: 16:30 – 18:00
الفوج 2 التوقيت: 14:50 – 16:20
الفوج 6 التوقيت: 13:10 – 14:40
الاثنين: 2024/09/07
الفوج 3 التوقيت: 13:10 – 14:40
الفوج 4 التوقيت: 14:50 – 16:20

الدرس رقم 01:

الاستشراق المفهوم، النشأة والتطور

يعد الاستشراق اتجاه فكري جديد أولى أهمية بالغة بالعالم العربي بصفة خاصة، والحضارة الشرقية بصفة عامة، ولذلك كان لا بد من البحث والتقصي فيه، ومعرفة مفهومه ونشأته وكيف تطور.

أولا: مفهوم الاستشراق

1/ الاستشراق لغة: كلمة الاستشراق مأخوذة من مادة شرق التي تعني شرقت الشمس شرقا وشروقا إذا طلعت، وشرق المكان شرقا إذا أشرقت عليه الشمس، لكن الكلمة نفسها (استشراق) لا نجدها في المعاجم اللغوية القديمة، وهذا يعني أن الكلمة ليست عربية أصيلة وإنما هي نابعة من اللغة العصرية، وهي التي نجدها في المصادر اللغوية الحديثة، وتعني طلب علوم الشرق ولغتهم، ويقال لمن يعني بذلك من علماء الغرب.

كذلك في اللغة الأجنبية كلمة استشراق حديثة الظهور، فقد ظهرت كلمة(مستشرق) في إنجلترا سنة1779، وكلمة الاستشراق في فرنسا سنة1799م، ثم أدرجت كلمة الاستشراق في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام1938م. أما بالنسبة لحرف السين في كلمة الاستشراق فهي تفيد الطلب أي طلب دراسة ما في الشرق الذي هو آسيا وأفريقيا من قبل الغرب الذي هو أوروبا وأمريكا.

2/ الاستشراق اصطلاحا: هو ما يقوم به الغربيون من دراسات وأبحاث حول تاريخ الشرق وأممه وعلومه وعاداته ومعتقداته ولغاته، فقد كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغمورا بالعلم والمعرفة، بينما كان الغرب من بحره إلى محيطه يعمه غياهب من الجهل الكثيف، فالاستشراق في حقيقته هو العلم الذي اهتم بدراسة الشرق بكل ما فيه من علوم وآداب ولغات وحضارة وأديان.

أما المستشرقون هم هؤلاء الباحثون الغربيون الذين لفت نظرهم علوم هذا الشرق، فاهتموا بمعرفة لغته ودراسة أدبه والتعرف على أديانه، وإصدار الأحكام على هذه العلوم والأديان حتى أنهم انشغلوا بدراسة تراثنا العربي الإسلامي أكثر مما انشغلوا بأنفسهم.

ثانيا: نشأة الاستشراق

يصعب تحديد نشأة الاستشراق بدقة، لكن المؤكد أن الحركة الاستشراقية ارتبط ميلادها بالرهبان الغربيين الذين قصدوا الأندلس إبان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن الكريم والكتب العربية إلى لغاتهم وتتلمذوا على يد العلماء المسلمين في مختلف العلوم، خاصة في الفلسفة والطب والرياضيات.

وقد عمل هؤلاء الرهبان تحت راية الكنيسة التي كان لها دور في ظهور العملية الاستشراقية، حيث ارتأوا ضرورة التعرف على لغات المشارقة لا سيما اللغة العربية وآدابها لبدء عملية التبشير، ولانجاحها كان لا بد من بث الدعوة الدينية بين أبناء الشرق في أسيا وإفريقيا، وفي الأندلس وصقلية من قارة أوروبا.

وبعد عودة الرهبان إلى بلادهم، عملوا على نشر ثقافة العرب، وأهم مؤلفات علمائهم، مما جعل الغرب يقرر أن يؤسس المعاهد والجامعات للدراسات العربية، وكانت أول مدرسة للدراسات الشرقية في أوروبا هي التي تأسست في طليطلة سنة1250، حيث تدرس فيها العربية والعبرية، وتم تأسيس أول جامعة في أوروبا الوسطى في كراكو من مدن بلندا سنة1361، وبعد أربع سنوات أنشأت جامعة فيينا وهي أول جامعة ألمانية اهتمت بالدراسات الشرقية وخاصة العربية منها.

كما يمكن أن نرجع تاريخ نشأة الحركة الاستشراقية إلى الانهزام الذي لحق بالغرب أثناء الحروب الصليبية، حينما وقف الغرب منبهرا أمام قوات المسلمين والاسلام، فقرروا تحويل الحرب من ميدان السلاح إلى الحرب في ميدان العقيدة والفكر. فالحروب الصليبية التي جرت بين المسلمين والنصرانيين كانت هي الأخرى سببا وراء نشوء ظاهرة الاستشراق.

يمكننا أن نجمل مختلف آراء الباحثين حول نشأة الاستشراق فيما يلي:

1- يرجع بعض الباحثين نشأة الاستشراق إلى أواخر القرن السابع الميالدي، ويستندون في ذلك إلى كتابات بعض المسيحيين عن الإسلام أمثال يوحنا الدمشقي، ولا شك في أن هذا الرأي ربما توافق مع المفهوم العام للاستشراق لا المفهوم الأكاديمي له.

غير أن ذلك لا يقنع بعض الدارسين العرب، ومنهم محمود حمدي زقزوق الذي يرى أن "يوحنا الدمشقي كان رجلا شرقيا عاش في ظل الدولة الأموية وخدم في القصر الأموي. ولهذا سنصرف النظر عن مثل هذه المحاولات من جانب النصارى الشرقيين ونقصر حديثنا عن العلماء الغربيين".

2- ويرى بعض الباحثين أنه نشأ في القرن العاشر الميلادي حين بدأت التلمذة الغربية على الشرق التي كان رائدها الراهب جربرت، الذي تعلم العربية في قرطبة ثم عاد إلى بلاده ليتولى البابوية تحت اسم سلفستر الثاني.

3- وهناك من يقول: إن الاستشراق، نشأ في القرن الثاني عشر، ويستدل على ذلك بظهور أول نتاج استشراقي تمثل في أول ترجمة لمعاني القرآن، كذلك ظهور أول قاموس لاتيني عربي.

4- كما أن هناك من الباحثين يرى أن الاستشراق يعتبر نتيجة من نتائج الحروب الصليبية، ذلك أن هذه ا لحروب كانت آخر مراحل الصراع الديني المسلح بين المسلمين والمسيحيين، وأن هؤلاء ربما اقتنعوا بأنه لا يمكن الانتصار على المسلمين عسكريا وهم متمسكون بدينهم، ولكي يتم قهرهم والسيطرة عليهم يجب الفصل بينهم وبين دينهم عن طريق ما عرف فيما بعد بالغزو الفكري الذي كان الاستشراق أحد أهم مظاهره، ونتيجة لهذه القناعة تولت الكنيسة هذا العمل وقامت برعاية كل الجهود الرامية إلى تعلم العربية وفهم الدين الإسلامي، وهي الجهود التي تطورت بعد ذلك لتكون حركة الاستشراق.

5- ويرجع بعض الباحثين نشأة الاستشراق إلى القرن الثامن عشر، متخذا من حملة نابليون على مصر نقطة انطلاق الحركة الاستشراقية. وعلى الرغم من أن هذه الحملة عسكرية إلا أن اصطحاب نابليون معه مطبعة وعددا من العلماء والباحثين هو الذي دفع إلى القول بأنها بداية الاستشراق.

ثالثا: تطور الحركة الاستشراقية

لا يمكن أن ننكر أن للاستشراق الفضل في الكشف عن التراث الشرقي، الذي اكتسى طابعا عالميا، لكن ليس بدافع الاطلاع وإنما بدافع تحطيم كيان الأمة الشرقية. ولقد مرت الحركة الاستشراقية بمراحل مختلفة نذكرها حسب ما أوردها الباحث **أحمد سمايلوفيتش** في كتابه "**الاستشراق وأثاره في الأدب العربي المعاصر**":

1/ مرحلة التكوين (مرحلة الانبهار بالحضارة الإسلامية): وهي التي وجد فيها ارتياط وثيق بين فكرة التبشير التي انصبت على ميدان التعليم والحركة الاستعمارية أو بصياغة أخرى بين فكرة التبشير وفكرة الاستشراق التي انكبت على مجال الثقافة، حيث نجد كلاهما نسج خيوط الأكاذيب والمغالطات الزائفة، فهدفهما كان تغيير الفكر العربي، وذلك من خلال:

– توجه الأوروبيين إلى إسبانيا والتتلمذ في مدارس عربية.

– إرسال أكبر عدد ممكن من الطلاب الغربيين إلى الأندلس لتلقي العلم على يد العرب، وإعدادهم لتحمل مسؤولية التوسع الثقافي في البلاد.

– ترجمة أهم الآثار العربية، وخاصة ما كان متصلا منها بالآداب والعلوم والفنون والطب والفلسفة إلى اللغة اللاتينية التي كانت سائدة آنذاك.

2/ مرحلة التقدم (مرحلة الحروب الصليبية): وهي التي تأسست فيها الحركة الاستشراقية خلال القرن التاسع عشر، ففي هذه المرحلة اتسم الاستشراق بالطابع العلمي والثقافي، حين تأسست معاهد ومدارس متخصصة للدراسات الشرقية، حددت معالمه ووضحت مجالاته وكشفت أهدافه.

3/ مرحلة الانطلاق (التنظيم والتطور): وهي التي أسميها أنا بمرحلة التحقق بدل من الانطلاق لأنها المرحلة التي اتضحت فيها خفايا وخبايا النشاط الاستشراقي على عديد من المستويات، حيث بلغ فيها الاستشراق ذروته في النيل من التاريخ العربي والاسلامي، من خلال نشره للافتراءات والأباطيل المزيفة للحقائق عن مبادئ الحضارة الاسلامية، وبالتالي وصل المستشرقون إلى تحقيق هدفهم في تجسيد المزاعم المدسوسة بشتى الطرق والوسائل.

من خلال ما تقدم ذكره يتبين معنا أن للحركة الاستشراقية العديد من الدوافع التي ساعدت على ظهورها وهي التي سنذكرها على النحوي الآتي:

دوافع الاستشراق:

الدافع الديني:
غرضه تحطيم عقيدة الدين الإسلامية) تشويه، حجبه، عرقلة الدعوة إلى اعتناق الاسلام، التشكيك في فحوى الإسلام) ونشر عقيدة النصارى.

الدافع السياسي الاستعماري:
تدمير أرض الشرق وقوته باحتلاله واستغلال مقدراته، فبعد خروج العالم الإسلامي والشرقي بصفة عامة من مخالب الاستعمار قرر الاستعمار فتح قنصليات وسفارات بقيادة مستشرقين لديهم المعلومات الكافية عن الثقافة الشرقية تساعدهم في نقل أخبار الشرق من جميع النواحي من أجل السيطرة عليهم من جديد والاستعداد للغزو العسكري المسلح.

الدافع العلمي:
وهو دافع كان فيه انصاف بعض الشيء للثقافة والحضارة الشرقية، لأن هدفه كان المعرفة العلمية الخالصة، فكتبوا ما ينصف الإسلام وهناك من اعتنق منهم الإسلام وأحسن في اعتناقه.

الدافع الاقتصادي:
إضعاف القوة الاقتصادية للشرق من خلال اعتباره سوقا مفتوحا لترويج بضاعته وشراء المواد الأولية بأبخس الأثمان، وقتل الصناعات المحلية.

وبالرغم من ذلك كان هناك بعض من المستشرقين ممن عاشوا فترة من عمرهم بين المسلمين وتعرفوا على أخلاق وآداب الإسلام وتمكنوا من كتابة مؤلفاتهم بصدق خالص، والبعض منهم قد اهتدى للإسلام وهذه بعض الكتب عن الاستشراق المتطرف والحيادي:

كتب الاستشراق

المتطرف

-تيودور نولدك، تاريخ القرآن.
-جولد زيهر، تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي.
-فون جرونيباوم، دراسات في تاريخ الثقافة الإسلامي.
-جرجس سال، مقالة في الإسلام.

الحيادي

-لورا فيشيا فاغلير، دفاع عن الإسلام.
-موريس بوكاي، أبحاث عن الإسلام والمسيحية واليهودية.
-روجيه دو باسكويه، إظهار الإسلام.
-آنا ماري شيم،رسالة: القضاء الإسلامي في مصر في القرون الوسطى.

ويبقى اهتمام المستشرقين بالدراسات الشرقية كانت من أجل معرفة عدوهم حق المعرفة، فهذه الكتب التي ألفوها وطبعوا منها مئات النسخ ما هي إلا صور وخرائط مرسومة لعقول أهل الشرق، وعواطفهم، واتجاهاتهم، فكانت بمثابة الطريق الذي عرفوا منه كيف يدمروا الشرق من الناحية الثقافية، الاجتماعية، العلمية، والفكرية.

ولا نستطيع إنكار أننا قد استفدنا من أعمال الاستشراق في مجال تحقيق الكتب وفهرستها ونشرها، إضافة إلى نقلهم طائفة من نخبة الشعر العربي إلى اللغات الأجنبية، كذلك ما نقلوه من كتب الآداب واللغة إلى جانب كتب التاريخ ونحوها إلى لغاتهم، ويتجسد ذلك مع العديد من المستشرقين أمثال: **سيلفستر دي ساسي، مرجليوث، بروكلمان،** والمستشرقة الألمانية "**ريناتا ياكوبي**" وهي أستاذة الأدب العربي القديم ورئيسة معهد دراسات اللغات السامية والعربية في جامعة برلين، لها بحوث متعددة في مجال الأدب العربي بعامة، وفي مجال القصيدة العربية القديمة بخاصة.

ولكنها مجرد استفادة عرضية كانت في الأساس لصالحهم، الهدف منها معرفة جوانب القوة للقضاء عليها وجوانب الضعف لتعميقها، وقد اهتم الاستشراق في مجال النشر بالجوانب السلبية أكثر من الجوانب الإيجابية

إذن، الدارس للاستشراق سيستخلص في نهاية المطاف ثلاثة أصناف من المستشرقين:

1/ صنف كتب في علوم العرب والمسلمين بحقد وكراهية: نتيجة العداء الذي زرعته فيهم الكنيسة، فكان نهجهم بعيدا عن المنهج العلمي، ومنهم محرري دائرة المعارف.

2/ صنف كتب بروح علمية: استفاد من الحضارة الشرقية، وأكن الحب والإعجاب للإسلام كشريعة ودين لكن دون أن يعتنقوه، ومنهم: الكونت هنري دي كاسنتري، غوستاف لويون، جاك بيرك، رينيه جينو، جيرينه وجوتة الألماني.

3/ صنف كتب بروح علمية صادقة: درس الإسلام دراسة عميقة حتى اهتدى إلى اعتناق الإسلام، وهم قليلون أمثال: اللورد هيدلي الإنجليزي، والفونس إتيان دينيه الفرنسي، والكاتبة الأمريكية مريم جيلة: هي من أصل يهودي، لها كتاب بعنوان "الإسلام في مواجهة أهل الكتاب."

وعليه يمكننا أن نلخص أهداف هذه الدراسات الاستشراقية في النقاط التالية:

- التعرف على الحضارة الشرقية والعربية (عاداتها وتقاليدها وأدبها وفنونها وغيرها).

- تشويه محاسن الإسلام لإقناع النصارى بعدم صلاحيته لهم.

- إضعاف الروح الإسلامية عند المسلمين من أجل تنصيرهم.

- إخضاع البلاد الإسلامية لقبول أفكار الغرب وتمجيد قيمه المادية الرأسمالية النصرانية.

- التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي، لنظل أتباعهم.

- التشكيك في غنى الأدب وإظهاره فقيرا لنتجه إلىآدابهم، وذلك هو الاستعمار الذي يبغونه مع الاستعمار العسكري الذي يرتكبونه.

وكانت الكتب، والمجلات، والمؤتمرات، وإرساليات التبشير، والمحاضرات التي ألقيت في الجامعات العربية والإسلامية، والمقالات التي نشرت في الصحف المحلية، إضافة إلى موسوعة "دائرة المعارف الإسلامية"، الوسائل التي اعتمدها المستشرقون في نشر أفكارهم وتوجهاتهم حول الحضارة الشرقية عامة والعربية بالخصوص.

إذن الاستشراق هو الذي يرى فيه بعض الباحثين أنه ميدان علمي له قواعده وأسسه ومناهجه ومدارسه وقنواته البحثية، ويذهب آخرون إلى القول أنه مؤسسة غربية ذات أهداف لا تخلو من السيطرة والهيمنة تحت لواء المعرفة، بينما يرى البعض الآخر أنه ظاهرة طبيعية تولدت نتيجة الصراع بين الشرق والغرب.